بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

التمسك بالأخلاق، والاعتزاز بالقِيَم، عنوان حضارة الأمم، وعلامة على سُمُوِّها، ودليل على رُقيِّها وتميُّز شخصيتها.

وجمال الأخلاق، والعناية بها، مستقر في العقول الصحيحة، ومقبول لدى الفِطَر السليمة.

ومجتمع دولة الإمارات العربية المتحدة -حرسها الله- مجتمع تميَّز بمكارم الأخلاق، ومحاسن الشِّيَم، والتواصل الراقي.

وليس هذا بغريب على مجتمع يصدُرُ في أخلاقه، وينطلق في تعاملاته من الإسلام الكامل الذي رَضِيَهُ الله للناس ديناً، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وليس بمستنكَرٍ -أيضاً- من مجتمع جعل النبي ﷺ قُدْوَتَهُ، والتأسِّي به ﷺ بُغْيَتَهُ.

وهذا ما رسَّخه زايد الخير رَحِمَهُ اللَّهُ في قلوب شعب الإمارات عندما قال: «فلدَيْنا كتاب الله، فهو الدستور، والدِّين، والإيمان، ويُرجِعُنا إلى الله -سبحانه وتعالى-، ويُعلِّمُنا في أيِّ طريق نسير»[1].

وهذه إحدى مُكوِّنات الشخصية الإماراتية، على هذا بُنِيَت الأُسَر، وتَرَبَّى الأجداد، ونشأ الآباء، وترعرع الأبناء.

وعلى هذا نشأ الشيخ زايد، تشهد بذلك أقوالُهُ، وتدلُّ أفعالُهُ، وتنطق مواقفُهُ؛ لذا فإنه رَحِمَهُ اللَّهُ لم يَأْلُ جُهداً في نُصح شعبه في باب الأخلاق، ومعالي الآداب، ببيان مصدر الأخلاق وأثرها، وضرورة المحافظة عليها، وعدم الاغترار بما يُضادُّها، أو يؤدِّي إلى التخلِّي عنها، والتأكيد على أنه لا قيام للدول، ولا بناء للأجيال، إذا فُقِدت الأخلاق الصالحة، وتُورِّط في ضدِّها.

وفي هذا يقول رَحِمَهُ اللَّهُ: «بدون الأخلاق، وبدون حُسْنِ السلوك، وبدون العِلم لا تستطيع الأمم أن تبنيَ أجيالها».

- قد يتطرق الخلل إلى الأخلاق، والمرء قد ينشأ على عاداتٍ غير مَرْضِيَّة،

(١) الفرائد من أقوال زايد (٤/٧٢).



وتقاليد غير محمودة، ومن نعمة الله أن جَعَل لنا ميزاناً توزن به الأعمال، وتُضبط به العادات، وتُصحَّحُ به التقاليد، إنه ميزان الإسلام الذي بُعث به النبي ﷺ، وهذه قاعدة عظيمة من القواعد التي تُبنى عليها الأخلاق، وفي هذا يقول الوالد الشيخ زايد -غفر الله له-: «فالإسلام عندما جاء العرب -ونحن منهم- كان عندنا عادات وتقاليد، وقد صحَّح الإسلام الكثير من هذه العادات».

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «القرآن الكريم أساس العِلم والخُلُق والسلوك، لن يكون هناك ثروة بشرية حقيقية ما لم نتمسك بمبادئ الإسلام»[2].

وقال أيضاً -نفع الله بنصائحه-: «إن مبادئ الشريعة الإسلامية، وأحكام ديننا الحنيف هي التي يجب أن تَحْكُم تصرفاتنا، وتُنَظِّم علاقاتنا على مستوى الفرد والجماعة؛ حتى نُعْصَم من الزلل»[3].

- إن الأخلاق جزء من هويَّة المجتمع الإماراتي، لا تنفك عنه بحال؛ فإن جذورها عميقة، وأصولها مُحكمة، وتربية الأجيال عليها مسؤولية عظمى ملقاة على عواتق الآباء والأمهات، يقول الشيخ زايد رَحِمَهُ اللَّهُ منبِّهاً إلى ضرورة التمسك بالقِيَم ونقلها إلى الأبناء: «إن البلاد بحاجة إلى أبنائها؛ لأن عليهم يعتمد الحاضر والمستقبل، وإن علينا أن نورثهم ما ورثناه من الآباء والأجداد».

ولا شك أن الأخلاق جزء مما ورَّثَهُ الآباء والأجداد لمن بعدَهم، بل هو من أعظم الإرث وأطيَبه، وهذه الأخلاق هي ما تعارف عليه الإماراتيون بمصطلح "السَّنَع"، ويُعنى به: تلك الأقوال الحسنة، والأفعال الجميلة التي تُستعمل عند التواصل مع الآخرين، والتي دل عليها قول نبينا ﷺ: «وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»[4].

وبما تقدم نُدرك أن الأخلاق التي تُطلب من كل إماراتي ليست أخلاقاً وقتيَّةً يَحْكُمها موقف معيَّن، أو زمن مُحدَّد، أو يتَّصف بها المرء متى شاء، ويتخلَّى عنها متى أراد، بل هي أخلاق راسخة في القلب، لها أصولها المتينة في ديننا

(٢) حروف من ذهب (ص٤٧).
(٣) الفرائد من أقوال زايد (١/١٠١).
(٤) رواه الترمذي.

الإسلامي الحنيف، وأُسسها الثابتة في سنة نبينا ﷺ، وجذورها العميقة في أفئدة شعب دولة الإمارات.

وهذا الرسوخ يقتضي الثبات أمام كل خُلُق منحرف دخيل على بلادنا، أو سلوك وافد لا يتوافق مع تعاليم ديننا، أو تعامل سيء لا يلتقي مع قِيَمنا.

كما أن مواكبة الحضارة، وتجدد التقنيات، وتغلغلها في المجتمع لا ينبغي أن تُفْقِدنا أخلاقنا، أو تُنسينا عاداتنا الأصيلة، وما أجمل قول الوالد الراحل زايد بن سلطان في هذه الجزئية حين قال: «ديننا حافل بالتعاليم العظيمة...ولا يجب أن تجذبنا قشور المدنيَّة».

**وختاماً:**

نحمد الله -أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً- أن ولَّى علينا حكاماً يحملون راية الدعوة إلى مكارم الأخلاق، ومعالي الأمور، قاعدتهم في ذلك كتاب الله، وسنة نبيه ﷺ، وما ذاك إلا لإدراكهم أن بشيوع الأخلاق الفاضلة في المجتمع يَظهَر الخير، ويعم التراحم، وتؤدَّى الحقوق، وتُجبر الخواطر، ويُمنع الظلم، وتُصان الأعراض، ويقوى التآخي، وتُحفظ الحُرُمات، وتُستر العورات، وتُقضى الحوائج، وتُوصل الأرحام، ويُكرم الجار، ويوقر العلماء، وتنمو الآداب، وتسلَم الصدور من الغِلِّ، والحقد، والشح، والحسد، والبغضاء، والغش، وسوء الظن وغير ذلك، وفي هذا الصدد يقول الوالد المؤسس زايد ابن سلطان رَحِمَهُ اللَّهُ: «واعلموا أنه إذا استقامت الأخلاق استقام السلوك، وإذا استقام السلوك سلمت العلاقات، وخلُصَت النيات، وتلاقت وتآلفت القلوب، وتشابكت الأيدي من أجل هدفٍ واحد»[٥].

ومتى عمَّت الأخلاق الفاضلة المجتمع ترحلت عنه الأخلاق السيئة، فلا سبيل لانتشارها، ولا طريق أو مُقام للساعين فيها.

فاللهم عمِّم مجتمعنا بالأخلاق الحسنة، واهدنا لأحسن الأخلاق، فإنه لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عنَّا سيئها لا يصرف عنَّا سيئها إلا أنت، والحمد لله رب العالمين.

(٥) الفرائد من أقوال زايد (١/ ٣٦٥).



# من قيم زايد (٤)

إعداد
يوسف بن حسن الحمادي

@Baynoonanet
baynoona.net